

الحياة في حدود اليوم

ترجع شهرة سير وليام أوسلر sir william Osler الذي احتل مقعد الاستاذية في أربع كليات للطب والذي أنعم عليه ملك إنجلترا بلقب سير ، إلا أن هذا الطبيب الذي طبقت شهرته كل العالم إلا أنه عندما كان طالبا بكلية الطب في مونتريال بكندا خشي على مستقبله وأصبح شديد القلق وكان يخشى رسوبه في الامتحان النهائي لكنه قرأ في نفس السنة كتابا للأديب الإنجليزي « توماس كارليل » فأعجب بعبارة تحتوي على اثنين وعشرين كلمة كانت سر نجاحه في الحياة فعاش حياة بعيدة كل البعد عن القلق وكان نص هذه العبارة « ليس علينا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتا على البعد وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عمل واضح بين » .

وبفضل هذه العبارة التي استوفقتة تخرج من كلية الطب واتخذها مبدأ له فنجح في حياته ووضع كتابا بيعت منه بضعة ملايين من النسخ رغم اعترافه بأنه لا يملك قوة ذهنية فريدة بل يقول عن نفسه إنه إنسان عادي الذكاء متواضع البديهة . إنما نجاحه يرجع إلى ما أطلق عليه « الحياة في وجود اليوم » فنظريته يمكن إيجازها في العبارة الآتية : « الماضي ليس له وجود والمستقبل لم يولد بعد فعش في حدود يومك » ويقول الدكتور أوسلر :

« إن أفضل الطرق للاستعداد للغد هي أن نركز كل ذكائنا وحماسنا في إنهاء عمل اليوم على أحسن وجه . . فهذا الطريق الوحيد الذي نستعد به للغد أما أن نهتم بالغد والهم شيء مرادف للقلق فاتركه لله وحده » وعلى هذا ينصح سيادته بتركيز الذهن في عمل واحد بدلا من تشتته .

ويضيف إلى هذا قائلاً : « إن أكثر من نصف عدد المرضى المقيمين في المستشفيات لم يستطيعوا تحمل أعباء الماضي المتراكم وخشوا في نفس الوقت المستقبل المظلم فكان الإرهاق العصبي الذي أفضى بهم إلى المرض الجسدي والنفسي الذي أوجدتهم يحتلون أسرة المرضى في المستشفيات وهؤلاء الذين يشكلون نصف المرضى في المستشفيات كان يمكن أن يذرعوا الآن شوارع المدن سعداء فرحين لو أنهم اتبعوا الحكمة التي تقول :

« لا تهتموا بالغد » أو أنهم نفذوا قول سير وليام أو سلو « عش في حدود يومك » حيث يقول أنت وأنا نقف هذه اللحظة في ملتقى طريقين أبديين : الماضي الفسيح الذي ولّى بغير رجعه والمستقبل المجهول الذي يطارد الزمن ويتربص بالحاضر ولا يمكننا العيش في أحد هذين الطريقين الأبديين فإذا حاولنا ذلك لم تجربنا المحاولة إلا إلى تحطيم أجسامنا وعقولنا وإذن فدعنا نرضى بالعيش في الحاضر الذي لا يمكن أن نعيش إلا فيه . . . دعنا نعش اليوم إلى أن يحين وقت النوم وقال الروائي العظيم « روبرت ستيفنسون » كل إنسان يستطيع حمل أعباءه مهما ثقلت إلى أن يرخي الليل سدوله وكل امرئ يستطيع أن ينجز عمل يوم واحد مهما صعب وكل فرد قادر أن يعيش قرير العين راضياً صبوراً محبباً نقياً إلى أن تغرب الشمس وهذا كل ما تطلبه منا الحياة .

وتقول مسز شيلدز « إنه في عام 1937 فقدت زوجي فانتابني حزن شديد وفقر أشد وقلق لا يكاد يحتمل لا سيما وقد بعثت سيارتي للصرف على علاج زوجي المريض مما دفعني إلى الإلتحاق بعمل في إحدى الولايات الأمريكية بعيداً عن مسقط رأسي حيث شعرت بالوحدة التي دفعتني إلى فكرة الانتحار ولكن الذي منعي منها عاملان :

الأول : خوفي على حزن شقيقتي على موتي .

الثاني : لا أملك المال الكافي لجنازتي وظللت على هذا القلق حتى قرأت مقالاً انتشلتني من هذه المشكلة وفي الواقع كانت هناك عبارة في هذا المقال هي التي غيرت مجرى حياتي وهي « ليس اليوم الجديد إلا حياة جديدة لقوم يعقلون » وفعلاً استطعت من خلال هذه العبارة التي نقلتها وكتبتها على الآلة الكاتبة ولصقتها على مرآتي أن أتغلب على الخوف من المرض ومن الحاجة وأنا الآن سعيدة لأنني أعيش كل يوم على حدة وأعتقد أن كل يوم جديد هو حياة جديدة لقوم يعقلون .

وقد نظم الشاعر الروماني « هوراس » الأبيات الآتية :

ما أسعد الرجل . . وما أسعده وحده

ذلك الذي يسمى اليوم يومه

والذي يقول ، وقد أحسّ الثقة في نفسه :

يا أيها الغد ، كُنْ ما شئت .

فقد عشت اليوم لليوم ، لا غده ولا أمسه «

هذا وقد كتب « ستيفن ليكوك » يقول « ما أعجب الحياة » .

يقول الطفل : عندما أشبُ سأصبح غلاماً ويقول الغلام « عندما أترعرع سأصبح شاباً . . ويقول الشاب : عندما أتزوج سأصبح رجلاً مهماً ومسئولاً فإذا تزوج قال : عندما أصبح شيخاً متفرغاً فإذا واتته شيخوخته تطلع إلى المرحلة التي قطعها من عمره فإذا هي تبدو كأن

الرياح اكتسحتها اكتساحاً ولكننا لا نعلم إلا بعد فوات الأوان أن قيمة الحياة في أن نحيا كل يوم منها وكل ساعة .

ويقول الكاتب الهندي الشهير « كاليداسا في قصيدته التي أسماها تحية إلى الفجر » .

انظر إلى هذا اليوم !

إنه الحياة . . جوهر الحياة .

في ساعاته القليلة .

تكمُن حقيقة وجودك

معجزة الغد

ومجد العمل

وروعة الإنتاج

فالأمس ليس إلا حلماً

والغد ليس إلا خيالاً

أما اليوم إذا عشناه كما ينبغي

فإنه يجعل من الأمس حلماً سعيداً .

ويجعل من الغد خيالاً حافلاً بالأمل .

هكذا يجب أن نحيا الفجر !

وهذه كلها تعبر عن أفكار دكتور أسلر التي تقول « أغلق الأبواب على

الماضي والمستقبل وعش في حدود يومك » .